لدور النظام الاردني فلسطينيا ، وعبر قدرة كوادر المقاومة على التعبئة والتنظيم . لقد اوقع هذا الاندفاع السريع والعفوي نحو العمل العلني منظمات المقاومة الرئيسية — آنذاك — في فوضى وانفلاش تنظيميين ، وساعد — الى حد كبير — على سيادة اشكال متأخرة جدا من العلاقات التنظيمية ، لا زالت حتى الان تطبع جميع منظمات المقاومة بطابعها . (٣) اغرق العمل الفلسطيني بتنظيمات صغيرة ، وجدت امكانات واسعة امامها للنمو والانتفاخ السريعين ، في الحالة الجماهيرية التي سادت بعد معركة الكرامة ، وفي سياسات بعض الانظمة العربية التي كانت تسعى لايجاد جيوب تنظيمية لها داخل العمل الفلسطيني خدمة لسياساتها وأغراضها .

وعلى الصعيد الثاني ، فقد نمى التغيير الفجائي في موقف النظام الهاشمي من العمل الفدائي بعد معركة الكرامة ، الوهم بامكانية التعايش بين « النظام » والمقاومة . وتحت مظلة هذا الوهم نمت وترعرعت السياسات التي كانت ترى انه بالامكان اعتبار الساحة الاردنية ساحة صديقة أو محايدة على أقل تقدير ، وانه بالامكان الاستفادة من هامش « التناقض » بين النظام الهاشمي والعدو الصهيوني ، ان لم يكن بكسب « قوة النظام » الى جانب المقاومة الفلسطينية فعلى اقل تقدير بتحييد هذه القوة . وتحت مظلة هذا الوهم غابت أو تراجعت المواقف العدائية للنظام الهاشمي من العمل الفدائي ، كما غاب أو تراجع الوعي بدوره التاريخي بصدد القضيـــة الفلسطينية . وليس المهم في هذه الحالة ان يسكن هذا الوعي عقل بعض القيادات فقط ، بل المهم ، حتـــى يكون هذا الوعي فاعلا ومؤثرا ، أن يتحول الى سياسة يومية تطبع العمل بطابعه وتكسبه السمة الاساسية أو المظهر الرئيسي . لقد كانت السمة الغالبة على علاقات المقاومة مع النظام الاردني ، سمة تتصف بالتشويش والتردد وعدم الوضوح ، تسير بين حدي الانتقال الفجائي والسريع من امكانات التعايش ، الى تحريض أوسع الجماهير ضد « النظام » اثناء المعارك ، ثم العودة السريعة الى امكانات التعايش بعد أن تهدأ الامور . ان سيادة مثل هذه السمة كانت تشير الـــى أن المقاومة بخطها العـــام السائد كانت تفتقر الى الوضوح الاستراتيجي بصدد علاقاتها مـــع النظام الاردنـــي ، وان السمة الغالبة أو السائدة لعلاقاتها معه هي حركتها التكتيكية . ان سيادة مثل هـــذه السمة أضعفت — الى حد كبير — قدرة المقاومة على ادارة دفة الصراع في الاردن بوضوح وبحسم ، وضمن شعارات تكتيكية تكتسب حالة من التدرج والصعود ضد « النظام » على ضوء نمو قوتها الذاتية وعلى ضوء توفر امكانات الحسم الاستراتيجي عندها ، بدل ان تفاجأ في النهاية في المعركة وبضرورة خوض معركة الحسم الاستراتيجي عندما شن «النظام» هجمة الابادة ضدها في أيلول ١٩٧٠ . ان الانتقال الفجائي بالجماهير مـــن شعارات امكانات التعايش الى شعار اسقاط النظام « بقوة السلاح على ضوء بدء « النظام » بهجمته الواسعة والشاملة في أيلول ، جعل المقاومة بعيدة عن الامساك بزمام المبادرة العسكرية والسياسية في ادارة دفة صراعها مع « النظام » كما حد كثيرا من قدرتها على الانتقال — على الصعيد العسكري — من الدفاع السلبي الى الدفاع الايجابي والنشط .

لقد اكدت مجريات النضال اليومي في الاردن ، ان « النظام » تحت مظلة امكانات التعايش استطاع أن يمسك بزمام المبادرة الهجومية استراتيجيا في مواجهته لحركة المقاومة ، واستطاع على الصعيد التكتيكي أن يحشر المقاومة في وضع المهاجم (بكسر الميم) تكتيكيا مع الافتقار الى القدرة على الحسم استراتيجيا ، وبالتالي فان بدايات المعارك وانتهائها ، وكيف تبدأ وتنتهي ، كان يتحكم بها « النظام » الى حد كبير . حتى معركة ١٩٧٠/٦/٩ التي حققت فيها المقاومة نجاحا تكتيكيا في اجبار « النظام » على